

الحلقة السابعة عشرة

سفر الجامعة

برنامج أنوار كاشفة

نرحب بك مستمعي العزيز في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. بدأنا قبل عدة لقاءات بدراسة سفر الجامعة لسليمان الحكيم، والذي يُعتبر من أسفار الحكمة. وقد عالج هذا السفر معضلة مشاعر الإحباط واليأس عند الإنسان، حيث أكد أن كل شيء بعيد عن الله هو باطل وقبض الريح.

وفي اللقاء الماضي تابع سليمان الحكيم ملاحظاته العامة حول الحياة، فوجّه نقده إلى أولئك الذين يدعون التدين، ولكنهم يفعلون الشر في نفس الوقت. ولهذا دعاهم الحكيم لكي يستمعوا إلى صوت الله ويتوبوا عن أفعالهم، ويعملوا حسب مشيئته. لأن الله لن يقبل تدينهم الظاهري.

مستمعي الكريم، عندما تصلي هل تردد الكلام أمام الله دون انتباه لما تقول؟ وهل تسرع في تعهداتك أمامه قائلاً: أنك ستفعل هذا الأمر أو ذاك؟ ولكنك عندما تأتي إلى الواقع لا تنفذ ما كنت قد تعهدت به؟ تابع سليمان الحكيم نقده إلى الذين يدعون التدين فكتب قائلاً: « لا تتسرع في أقوال فمك، ولا يتهور قلبك في نطق كلام لغو أمام الله، فالله في السماء وأنت على الأرض، فلتكن كلماتك قليلة. فكما تراود الأحلام النائم من كثرة العناء، كذلك أقوال الجهل تصدر عن الإفراط في الكلام» (الجامعة ٢:٥-٣ الترجمة التفسيرية).

هل تعلم مستمعي أن الصلاة التي نتوجّه بها نحو الله، هي أمر هام نقوم به؟ وأنا عندما نصلي فنحن نتحدث مع الله؟ ونصبح في حضرته؟ ولهذا علينا أن ننتبه لكلمات صلواتنا، إذ هي ليست مجرد كلمات نرددتها هكذا بدون انتباه أو وعي، بل يجب أن تكون صادرة من القلب. ولقد ضرب لنا الحكيم مثلاً من حياتنا الواقعية، فشبّه صلواتنا التي نردد بها الكلام، بالأحلام التي تراودنا في الليل، عندما نكون تعيين. وكذلك إننا عندما نكثر من الكلام في الصلاة، فهناك احتمال كبير أن تصدر عنا أقوال الجهل، أو التي لا تعني أي شيء محدد. وهذا يشوّه صلواتنا أمام الله.

ولقد تحدّث المخلص المسيح عن الذين يرددون الكلام في الصلاة فقال: « وحينما تصلّون لا تكررُوا الكلام باطلاً كالأمم. فإنهم يظنون أنه بكثرة كلامهم يُستجاب لهم. فلا تتشبهوا بهم. لأن أباكم يعلم ما تحتاجون إليه قبل أن تسألوه» (بشارة متى ٦:٧ و٨) يظن الكثيرون أنهم عندما يكثرون الكلام في صلواتهم، فإن الله سيستجيب لهم. لكن المخلص المسيح يدعونا لكي لا نتشبه بهؤلاء

الناس. لأن الموضوع لا يتعلّق بكثرة الكلام، بل بما يعبر عن حقيقة نفوسنا، وما يصدر من القلب. لأن الله يقبل هذا النوع من الصلاة ويستجيبها.

تابع سليمان الحكيم حديثه عن الصلاة فقال: « إذا نذرت نذراً لله فلا تتأخر عن الوفاء به. لأنه لا يُسرُّ بالجهال. فاوف بما نذرتك. أن لا تنذر خيراً من أن تنذر ولا تفي » (الجامعة ٥: ٤٥ و٥). يحذّرنا سليمان الحكيم من قطع عهد أو نذر أمام الله دون الوفاء بما تعهدنا به. فمن الأفضل أن لا ننذر من أن ننذر لله ولا نفي. والنذر يعني أن يتعهد الإنسان أمام الله بفعل عمل خير معين، إذا استجاب الله لطلبته. ولهذا كانت النذور في العهد القديم أمراً خطيراً، إذ متى نذر الإنسان يصبح ملتزماً بما نذر. وكان من الحماسة أن ينذر المرء نذراً لا يستطيع الوفاء به. فمن الأفضل له أن ينذر لله نذراً ويفي به، لئلا يجلب عليه غضب الله.

وفي العهد الجديد من الكتاب المقدس أي في المسيحية، لا وجود للنذور، لكن هناك تعهدات وتصاميم. فنأتي كخطاة أمام الله ونتوب عن خطايانا، ونصمم على تركها، ونتعهد في نفس الوقت على السير بحسب إرادة الله وكلمته الحيّة، وأن نسلك في طريق الصلاح والخير. ونحن لا نعتمد في تصاميمنا وتعهداتنا على نفوسنا بل على الله نفسه. الذي يعطينا نعمته وقوته لكي ننتصر على الخطيّة وأن نسلك في جادة الصواب، ونفعل الخير والصلاح.

لكن كلمة الله تنبّهنا في نفس الوقت أنه علينا أن نكون صادقين في تصاميمنا وتعهداتنا. وهكذا في كل مرة عندما نأتي إلى الله بالصلاة، علينا أن نعترف بأية خطية أو هفوة قمنا بها، لكي يسمع الله صلواتنا ويستجيبها. ولهذا يقول النبي داود: « إن راعيت إثمًا في قلبي لا يستمع لي الرب » (مزمو ٦٦: ١٨). فهل تصمم مستمعي على التوبة من كل قلبك؟

ويعود سليمان الحكيم ويحذّرنا من الكلام الباطل والكثير، فكتب قائلاً: « لا تدع فمك يجعل جسدك يُخطئ. ولا تقل قدام الملاك إنه سهوٌ. إذ لماذا يغضب الله على قولك ويفسد عمل يديك. لأن ذلك من كثرة الأحلام والأباطيل وكثرة الكلام. ولكن اخش الله » (الجامعة ٥: ٦ و٧). هل تعلم مستمعي أنه من السهل جداً أن نخطئ في كلامنا؟ فمن الصعب جداً أن نضبط لساننا، وهكذا تصدر عنا كلمات وألفاظ وتعابير غير لائقة. وتكون نتيجة ذلك أن نوقع أجسادنا في الخطيئة، ونحجب رضى الله عنا. ولهذا علينا أن ننتبه جداً، وأن نحرض لكي لا نتكلم بكلمات غير سويّة.

وفي هذا المجال قال المخلص المسيح: « أما أنا فأقول لكم لا تحلفوا البتة. لا بالسماء لأنها كرسيّ الله. ولا بالأرض لأنها موطن قدميه... ولا تحلف برأسك لأنك لا تقدر أن تجعل شعرة واحدة بيضاء أو سوداء. بل ليكن كلامكم نعم نعم، لا لا. وما زاد على ذلك فهو من الشرير» (بشارة متى ٥: ٣٤-٣٧). وقال الحكيم أيضاً في سفر الأمثال: « كثرة الكلام لا تخلو من معصية» (أمثال ١٠: ١٩) كان يحق للإنسان في العهد القديم أن يحلف إذا كان على صواب. لكن المخلص المسيح دعانا في العهد الجديد لكي لا نحلف البتة، وبيّن لنا أسباب ذلك. وأن كلامنا يجب أن يكون فقط، نعم نعم، ولا لا.

مستمعي الكريم، لقد تبين لنا في لقاء اليوم أهمية كلامنا، إن كان أثناء الصلاة لله، أو في أحاديثنا مع الآخرين. فهل تحرص أن لا تردد الكلام باطلاً بل تصليّ الله من كل القلب؟ وهذا يعني أن تأتي الله تائباً عن ذنوبك، إذ هو مستعد أن يغفرها لك، إن آمنت بالفادي المسيح الذي مات من أجلك على الصليب.